اللحظة الشفاهية ؛ في تقنيات السرد التاريخي

من الممارسة الانتقائية إلى التحولات الممكنة

د. إسماعيل نوري الربيعي
الجامعة الأهلية – البحرين
imseer@yahoo.com

الكلمات المفتاحية **Keywords**

صراع الدلالات Semantic Conflict
بناء المعنى Construction of Meaning
المسافة الدلالية Semantic Distance
طريقة إنتاج الوعي Method of Producing Awareness
وصف الواقع Description of Reality
القصدية الفاعلة intentional effective
الاستدلال القرائي Reading Inference
التحولات الممكنة Possible transitions

(المؤرخ يحافظ على دوره ككاتب ، عند تطبيقه في إطار سرد معين) (هابرماس)

ملخص

حصل أحمد زويل على جائزة نوبل للعلوم ، كونه استطاع ترصد اللحظة التي يتم فيها التفاعل بين عنصرين كيميائيين . لحظة عجزت عنها البشرية في الإمساك بها ، لكن الفتى العربي اقتنصها عبر عمليات معقدة وإخلاص ومثابرة وجدية . سؤال اللحظة قديم قدم البشرية ، فكم من لحظة فاصلة قادت صاحبها إلى نجاح أم فشل ، إيمان أم إلحاد ، تقدم أم تراجع ، حضور أم غياب ، حياة أم موت. لحظة تدور رحاها بين قطبين (الممارسة ، التحولات) . **ممارسة** انطلقت من بوابة ؛ التحديد و التطوير ، والتفعيل . و **تحولات** تقوم على ؛ الشمول ، والحراك ، و التجاوز . إنها اللحظة التي قال فيها عمر بن الخطاب (أصابت إمرأة و أخطأ عمر) ، و تمنى فيها الإمام علي أن يكون لديه عنق بعير ، و هي التي تمفصلت لدى مالك بين الريب بين (جراني) و (قياديا) و هو القائل ؛ خذاني فجراني ببردي إليكما ، فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا .

Oralmoment; techniquesinhistorical narrative

Practiceofselectivitytopossibletransformations

Abstract:

Ahmed Zewail won the Nobel Prize for Science ,being able to monitor the moment of interaction between the two chemists .The moment it failed to catch her in the human ,but monitored through complex processes and dedication , perseverance and seriousness .Question of the moment is as old as mankind,how much of a defining moment led the owner to the success or failure?faith or atheism ?progress or decline ? the presence or absence ? life or death?.moment rotates between two electrodes (practice , transitions) .Practice started from the gate ; identification and development , and activation. And transition based on ; inclusion , mobility , and overtaking .It is the moment in which he said Omar ibn al-Khattab (WomansucceededandOmar was mistake) , where Imam Ali wished to have a camel 's neck , the position ofthe poet Malek ben al-Rayieb between the acts (pulling) and (leading)when he said: It has becomeeasy tobeing pulled me , in the pastwould have daredto approachme

تهيمن ثنائية (**النسق** ، **السياق**) على المجمل من بنية اللحظة وهيكلها وتكوينها . حيث النقطة الزمنية التي تتم فيها ملامسة القلم للورقة أو الإصبع لمفتاح الكيبورد إن شئت ، لتتبدى محاولة التسلل من بين تراكم الأفكار و المعاني والدلالات الذي يشكله **النسق** ، بإزاء الفض اء الذي يحتوي القيم والأفكار الذي يقوم عليه **السياق**. إنها تجليات البنيوية التوليدية ، تلك التي يقوم نسق العلاقات فيها على توزيع السلطة حيث سطوة القوة وحضورها الطاغي والمهيمن على المجمل من العلاقات ، و التي تحضر في الجهاز الرقابي ، والممنوع و المرغوب ، وتوجهات المعرفة حيث محاولة التطلع نحو الولوج في المتحد العلمي . أو على مستوى الثروة تلك التي تبقى تدور في فلك (متطلبات الطبقة الوسطى) . اللحظة الشفاهية التي ما إن تتبلور في عقل المؤرخ ، حتى لتتفاعل مسألة تحديد الطرف وسماته ، ورصد العلاقات الكامنة فيه و مستويات إعادة الإنتاج الثقافي لديه . إنه البحث في التراكم التاريخي للفئة المهيمنة والعمل على تحليل الوظائف والممارسات الرئيسة فيها . إنها فعالية **التوجيه** المضمر ، و **التوزيع** القائم بين النخبة والجماهير ، و **المساهمة** في إمرا ر الأنساق بناء على التفاعلات العميقة في ذات المؤرخ.

موضوع اللحظة الشفاهية يقوم على (التاريخ)، و طريقة التعاطي مع المعيق الذي يتمثل في (إرادة الفعل) تلك التي تتناسل عندها الأسئلة ؛ من ؟ متى ؟ أين ؟ كيف ؟ كم؟ ماذا؟ لماذا ؟ والمساعد الذي يبقى يدور في فلك (الممارسة النقدية) .

الموضوع	المساعد	المعيق
التاريخ	الممارسة النقدية	إرادة الفعل

إنها مصفوفة اللحظة المنهجية و التي تتمثل في نموذج المؤرخ القادر على جمع الحوادث في موجه معرفي موّحد، و المستند إلى العدة المفاهيمية الواضحة والمحددة ، والتراكم المعرفي الواسع والمتنوع و المتعدد ، تلك التي تجعل

منه قادرا على معرفة الطريق والهدف والاتجاه ، بل والإيغال في ردم العمومية و الاستناد إلى التخصيص والتحديد ، بعيدا عن التجريد . ([1]) ، فيما يحضر العقل الواعي المستند إلى النقد والتحليل في طريقة تناول الخبر. إنها المعالجة المعرفية القائمة على **التأثر** بقوام النص التاريخي . والتفاعلات التي يميزها **التحول** باعتبار الحس الثقافي ، والروح **النقدية** تلك التي تميز حدود فعل المؤرخ على صعيد الهدف والتوجيه ؛ تصنيفا وبحثا ومقارنة وتحقيقا ورصدا وكشفا وتنقية . ([2])

متى تكون **لحظة المؤرخ الشفاهية** بوصفها عملية آلية لا تستحق هذا التوقف الطويل و المتأمل ؟ ومتى تكون انحرافا واختلالا ووهنا وضعفا ؟ ومتى تحضر أهمية تقنيات التحرير والإنشاء ، حيث التطلع نحو مغازلة هذه المؤسسة أو تلك في سبيل الحصول على موافقة النشر ؟ و أين يمكن للمؤرخ من بث شفراته ومدركاته ؟ و كيف يمكنه أن يداري مضمره النسقي ؟ و متى يستطيع الإفصاح والكشف والمجاهرة ؟ و أين يستطيع أن يستعرض معارفة وقدراته وبلاغته؟ اللحظة الشفاهية تستجمع سيلا من الأسئلة التي تتوارد على شكل خواطر برقية ، تلمع في ذهن المؤرخ خلال لحظة الإنشاء و التحرير والكتابة ، فيما يبقى **السياق** يدور في فلك المجال الثقافي و **رهان** النقد الجذري ، و**برؤية** معرفية ، مضافا إليه **تحدي** المصداقية و الأمانة والجودة ، بناء على **المتغيرات** القيمية .

التحديد

كيف يتمثل المؤرخ عملية التحديد ؟ هل تنطوي الفعالية على تطبيق مباشر ، انطلاقا من فعل الكتابة بوصفه عملية صياغة للأفكار والمفاهيم التي تكونت لدى المؤرخ عبر عمليات إعداد البحث . على اعتبار أن البحث التاريخي لا يتولد بناء على لحظة ، بقدر ما يقوم على على تفاعلات واستذكارات وحوافز وإشكاليات ، ساهمت في تبنيه لهذا الموضوع دونا عن المواضيع الأخرى ، وعلى هذا فإن الحديث عن اللحظة الشفاهية ، يعد محض لعبة معرفية لا يقصد منها سوى التهويل والمبالغة أو على أقل تقدير ما يمكن ادراجه ضمن حقل الألغاز والأحاجي .

يرتبط أمر التحديد بطريقة النظر التي يتبناها المؤرخ حول التاريخ بصورة عامة ، والمدرسة والاتجاه الفكري الذي يعتنقه ، حيث التعبير عن وجهة النظر التي تشكلها التيارات الفكرية الكبرى ، القومية و الماركسية والدينية وليبرالية . إلا أن إشكال التحديد لا يكمن في (**المعرفة الجاهزة**) بقدر ما يقوم على طبيعة التفاعل مع الواقع . المسألة لا تقوم على الإشكال الإبستمولوجي ، بقدر ما يقوم على (**صراع الدلالات**) بحسب تعبير ماكس فيبر . ([3]) إنه الواقع وتجلياته و ما ينتج عنه من معان متجددة ، وهكذا نجد التسرب في التطبيق المنهجي ، فالمؤرخ القومي

---

[1] عبد الله العروي ، مفهوم التاريخ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت 1997، ج 2 ص 246.

[2] آلن هاو ، النظرية النقدية مدرسة فرانكفورت ، ترجمة ثائر ديب، المركز القومي للترجمة ، القاهرة 2010، ص 273.

[3] كاترين كوليو – تيلين ، ماكس فيبر والتاريخ ، ترجمة جورج كتورة ، المؤسسة الجامعية ، بيروت 1994، ص 17.

لا يتردد من النهل من تطبيقات المنهج الماركسي ، و هكذا الحال حتى مع أشد المؤرخين أرثوذوكسية . فأمر النقاء المنهجي والتحديد الصارم ، لا يزيد عن حضور تمييزي . فيما أحوال الصراع للدلالات تبقى حافزة و مؤثرة في صلب عملية تفكير المؤرخ خلال اللحظة الفارقة . التحديد هنا يكون بمثابة الاشتقاق للمعاني الكامنة في الفكرة .

هذه الإشارة تقودنا إلى إشكالية (**الفكرة** ، **المعنى**) ، وارتباطها بمسألة الصورة النمطية Stereotype، تلك التي تجعل من المؤرخ مستندا في منجزه التحريري والكتابي على الصيغ الجاهزة ، حيث الصورة الذهنية الثابتة ، والتي تحيله إلى مستهلك أفكار ، بعيدا عن إنتاج المعنى . ([4]) ، إنها أعراض التبسيط المخل ، والشائع المبتذل والتكرار والقولبة . فيما التحديد هنا يقوم على تطلع المؤرخ نحو القبض على (فرادة المعنى) . نعم التاريخ تفاعل لا قوالب ، و إنتاج معنى لا حقائق مطلقة .

التطوير

قيمة التطوير يقوم على التفاعل مع الواقع ، حيث النهل من العلوم المختلفة ، والتماهي مع المجمل من الظواهر التي تميز الحياة البشرية ، استنادا إلى تلمس البناء الفكري النائي بنفسه عن مقحمات الأيديولوجيا ، حيث التطلع المعرفي الساعي نحو النهل من وضوح العلم باعتباره وسيلة كشف لا بوصفه بناء معرفيا فقط . التطوير لا يأتي هنا بسياق الترادف مع الشغف بالجديد ، بقدر ما ينطوي على توجه نحو ممارسة الصراع بإزاء هيمنة الثابت والراسخ ، و السعي نحو الإفلات من التعالي الثقافي ، أوتجهيز رؤية مسبقة حول القديم بوصفه رثا ، والتراث باعتباره تقليديا ، إنه صراع العقلانية و التنوير ، والتثوير للأفكار ، عبر فعالية العصف الذهني ، والتفكير الناقد ، وتحريك الراكد و حفز الواقع وتفجير الأفكار ([5]) إنه الوعي بقيمة الحضارة الإنسانية ، باعتبارها تفاعلا وتلاقحا حيا بين المكونات المجتمعية والبشرية ، وهو الموقف المنفتح المتطلع نحو الإفلات من سطوة المصادرات الثقافية وتبخيس حقوق الآخرين، أو الاندراج في تحيزات فرعية . تطوير يسعى نحو توسيع أفق النظر و الخلاص من هيمنة السرديات الكبرى ، والإيمان العميق بقيمة الحرية المسؤولة ([6]) .

إنه التوافق بين الممارسة وسياقات الفعل بحسب المنظومة المعرفية التي يجترحها يورغن هابرماس ([7]) حيث الانفتاح على الفرضيات التي تقدمها الحقول المعرفية الأخرى ، و الوعي بقيمة الإضافات المنهجية والنظرية ، بعيدا عن الانغلاق والتحجر والجمود النظري . عبر الاكتفاء بالمنظومة الفكرية المتداولة والسائدة والشائعة . تطوير

---

[4] Walter Lipman , Public Opinion , Macmillan , New York 1922, p 29

[5] هربرت ماركوز ، الثورة و الثورة المضادة ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الآداب ، بيروت 1973 ، ص 23.

[6] Elleke Boeham: Colonial and Postcolonial Literature, Oxford, New York: Oxford university Press, 1995, P.224

[7] يورغن هابرماس ، بعد ماركس، ترجمة محمد ميلاد، دار الحوار ، اللاذقية 2002، ص 128.

لا يلبث أن يعمل على تعديل (لحظته الراهنة) و ينقلب عليها ويشكك فيها ، ويفكك بنيتها و يفجر المعاني فيها عبر فعاية التاويل والتأويل المضاد. العناية هنا تتركز حول تقنيات البحث التاريخي ، وليس الخطاب التاريخي . حيث التطلع نحو الشروع في البناء السردي ، بناء على العرض المعرفي عبر معالجة المعلومات استنادا إلى الموجهات المنهجية ، والعمل على وضع التصورات التي تميز عمله من خلال التوجه نحو التوفيق بين الفرضيات و والتأويل .

البحث التاريخي بوصفه تقنية سردية ، لا يتوقف عند المستوى الغائي ، تلك التي تتمثلها فلسفة التاريخ والمدارس التطورية والشمولية ، بقدر ما يقوم على الطبيعة الأدائية ، حيث التوجه نحو تطبيق المنهجيات على الظاهرة المراد اختبارها ودراستها . إنها أداة الاستقصاء داخل حقل التخصص ، والتي يمكن من خلالها اختبار الفرضيات والعمل على تعديلها . عبر الجهود التي يبذلها المتخصصون .

إنها تمثلات الممارسة القائمة على اللغة والكلام والعلامات والرموز ، ومنطلقات رؤية العالم حيث القيم والمعايير و الأنظمة التي يتم من خلالها تشكيل التصورات ، و العالم المعاش حيث البواعث والمقاصد والتجارب الحياتية المباشرة .([8]) تلك هي المنطلقات التي تسيّر عمل المؤرخ في تقنيات سردية وبناء البحث التاريخي .

التفعيل ؛ الحكاية والحدث

تنطوي فعالية السرد على عنصرين رئيسين يتمثلان في ؛ (الحدث ، و طريقة عرضه) . وبقدر حالة الأهمية التي ينطوي عليه العنصران ، إلا أن (طريقة العرض) تبقى بمثابة الدليل والراصد لعملية السرد برمتها ، باعتبار أحوال التباين والاختلاف فيها . فيما يتشكل مستوى العلاقة بين (المؤرخ) و (القاريء) و أداة الاتصال القائمة بينهما تقوم على (الحدث) . السرد التاريخي هنا يقوم على الطريقة التي يتبناها المؤرخ في عرض الحدث ، والتأثيرات التي تطرأ على الحدث و على المستويين (**المؤرخ**) و(**القاريء**) . ([9]) ، ويبرز مدى العلاقة القائمة بين الشكل و المضمون ، بوصفه الوسيلة التي تساهم في تعزيز قيمة الكتابة التاريخية . فكم من مضمون مهم و و مميز و نادر ، ضاعت قيمته نتيجة تقديمه بشكل غير منتظم ، و عرض مهلهل و إنشاء يفتقر إلى الحبكة والدقة و الإفصاح .و بالمقابل كم من نتاج توافر على الشكل و المضمون ، لكنه لم يجد صداه لدى المتلقي . وهكذا تبقى هذه المفارقة تحضر في عقل المؤرخ السارد ، و الهدف المباشر الذي يعن عليه ، حول قيمة و أهمية ونتيجة عمله . ومن هذا الموقف تحديدا يتبدى مستوى التمييز بين مؤرخ حصيف ، و آخر أدنى تقنية منه لكنه استطاع أن ينال الحضور والتداول لدى الأوساط المتخصصة .

---

[8] هابرماس، المصدر السابق ، ص 128.

[9] Rick Altman, A Theory of Narrative, Columbia University Press, New York 2008, p 9

ما هو هدف المؤرخ من كتابة الموضوع الذي تم اختياره ؟ ما هي الإضافة الجديدة و الأصالة التي تميز العمل ؟ كيف يمكن الوصول إلى أسلوب و طريقة تناول وعرض خاص و مميز ؟ تلك الأسئلة تشكل مفهوم زاوية الرؤية لدى المؤرخ . ([10]) ، فالنص التاريخي يقوم على جملة من التفاعلات ، حيث الحدث الذي يحمل دلالة ما ، و المؤرخ الذي يؤدي دور الفاعل عليه ، باعتباره الموجه والمؤثر فيه . إلا أن هذه العلاقة سرعان ما تتعرض للتفكيك عندما نصل إلى نقطة (**بناء المعنى**) ، حين يتبدى تأثير السياقات . تلك التي تتمثل في الأوضاع و الأحوال التي تحمل النسق القيمي والثقافي ، والتفسير الذي يرتبط بطبيعة الحدث و طرق تداوله و تقديمه وعرضه ، والبواعث و الموجهات التي تعن على المؤلف في عرض الحدث . **المؤرخ هنا يأتي دوره ليس بوصفه شاهدا على الحدث ، بل لاحقا عليه** . هذه النقطة المفصلية ، يمكن من خلالها ترصد مستوى العلاقة بين **المؤرخ والتاريخ والشفوي** . انطلاقا من مستوى العلاقة الزمنية اللاحقة ، و طريقة السرد للحدث، واستعمال ملاحظات المزامنين له ، والوعي بالمحمولات والتضمينات والمغروسات المضمرة لدى مزامني الحدث ، فيما يحتل **البعد الزماني** مكانة مركزية في طريقة تمثل الحدث . ([11]) ، و ما يمكن أن يتركه الزمن على طبيعة الوعي و التأويل والتفسير . الواقع أم دور المؤرخ في التدوين يجعل له مكانة أثيرة و مميزة ، على صعيد التحكم بالبعد الزماني ، فيما يبقى دور المشارك في الحدث (صاحب الرواية الشفوية) خاضعا لجملة من الاعتبارات الصادرة عن المؤرخ ، بوصفه الفاعل الرئيس في تشكيلة الحدث . باعتبار أن المؤرخ هو الذي يتصدى لمهمة **بناء المعنى** في النص التاريخي . وهو الوحيد القادر على الحكم بـ (حيادية) المشارك في الحدث ، لا سيما وأن الموجهات تتخذ لبوسا مزدوجا بين (المؤرخ و المشارك في الحدث) . و هو الذي يقوم بفعالية الانتقاء والاختيار وعليه فإن إطار التأويل والتفسير ، يبقى عائدا له ، انطلاقا من القرار في ترتيب الواقعة التاريخية .

ينطوي الحدث المراد تسجيله على قيمة اتصالية . اللحظة الشفاهية هنا تمثل (**لحظة تورط**) ، حيث الانخراط في تجليات المسؤوليات و التابوهات والمحرمات . إنها اللحظة الفاصلة التي تجعل من المؤرخ حين يبدأ بتحرير النص ، أمام سياقات؛ المسؤولية و العلمية والأخلاقية والدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية . إنها اختراقات

---

[10]Arnold Toynbee, A study of History Abridgement of Volumes VII- X by C.D. Somervell, Oxford University Press, 1987, p 212.

[11]Helaine Selin, Encyclopedia of The History of Science, Kluwer Academic Publisher, Norwell-MA, USA, , 1997, p 974

السياق كما يشير إلى ذلك ميشل فوكو ([12]) ، وهو البناء السردي القائم على تحديد الأهمية بناء على ممارسة الانتقاء الذي يقوم به المؤرخ . ومن هنا تتبدى اللحظة الفاصلة ، حول طبيعة هذا التحديد ، و البحث في تفاصيل البواعث والمقاصد ، فهل الأمر يقوم على موجهات منهجية ؟ أم أن تسربات ما ، سوف تتسلل في بنية النص المراد تدوينه ؟ هل هو الوفاء للتقاليد العلمية ، أم أن التأويل الممارس بحق الحدث ، سوف يتبدى بوصفه انعكاسا للمحمولات الفكرية و التراكمات الذهنية التي تجول في راس المؤرخ ؟

الشمول

تحضر الذاكرة الدلالية Encoding ، حيث الترميز و التشفير الذي يتفاعل خلال اللحظة الشفاهية . باعتبار القدرة على تمييز المفاهيم المتراكمة ، والعمل على فصلها بناء على ما تتطلبه لحظة الاستجابة لمعالجة الفكرة قيد التدوين. إنه البحث في اللحظة الزمنية ، تلك التي يتم قياسها بناء على طريقة التعاطي مع الفكرة ، أو ما يمكن أن نطلق عليه زمن الاستجابة ([13]) ، و التي تطول و تقصر بناء على طبيعة و مستوى المعالجة . حيث الارتباط بطبيعة الحقل المعرفي الذي تتم فيه المعالجة . إنها السمات الخاصة التي تميز المكون الدلالي للمفاهيم في كل حقل معرفي . و على هذا يمكن تمييز الجهاز الاصطلاحي و المفهومي لعلم التاريخ أو الاجتماع أو علم النفس. ومن هذا يمكن ترصد أوضاع التسلل للمفاهيم من حقل إلى آخر. والتي قد تتمظهر في أكثر من تشكل . فقد تشكل قوة ، باعتبار النهل عن الحقول الأخرى ، و الانفتاح عليها . أو تكون عبئا وثقلا باعتبار الانشغال ببث المصطلحات ، و حشوها من دون أن تكون لها قيمة دلالية ، بقدر ما تزيد النص غموضا وعتمة .

لكل مصطلح يتم خزنه في الذاكرة ، سماته الخاصة التي تميزه عن الباقي من المصطلحات المختلفة والمتنوعة . تلك التي تتوزع ما بين المصطلحات الخاصة بالتخصص المباشر ، و الأخرى المتعلقة بالتخصصات التي تشكل التراكم والخزين الثقافي للمؤرخ . و من هذا الواقع فإن استحضار المفهوم والمصطلح يخضع للمقارنة العامة ، تلك التي تكون بمثابة التقويم الذي يتم من خلاله اختيار هذا المصطلح والمفهوم ، وبما يتطابق والفكرة الخاضعة للمعالجة. وعبر هذه الفعالية يتم الركون إلى التعريف المحدد ، الذي يخدم الفكرة المباشرة ، باعتبار الوقوف على عملية التعريف عقب نهاية عملية التمييز . و هكذا تبدأ فعالية التحديد للسمات ، واستثمار الاستجابة السريعة على صعيد الزمن في طريقة التدوين . إنه التوظيف للذاكرة الدلالية في بناء صياغة منطقية ، يتم من خلالها خدمة

---

[12]Mark Ollsen , Michel Foucalt;Materialism and Education, Critical Studies in Education and Culture Series, London 1999, p 82.

[13]Robert & Wilson Frank Keil, The MIT Encyclopedia of the Cognitive Sciences, Massachusetts Institute of Technology, 2001, p 278.

الفكرة . إنها (**المسافة الدلالية**) التي يتم من خلالها الوعي بالعلاقات القائمة بين مفهومين ، انطلاقا من ترصد السمات المشتركة بينهما ([14])

الحراك النقدي

تنطوي اللحظة الشفاهية على كم من التفاعل بين العقل والواقع . إنها التصورات التي تتكون في عقل المؤرخ لتشكل مدار رؤية العالم لديه ، حيث الخبرة التي تقود آلية التحليل لديه حول الأحداث والظواهر. والتشكلات المعرفية ، التي تجعل من المؤرخ يعمد إلى الربط الصارم بين التاريخ والسرد ، و انعدام أية آلية أخرى لتحديد العلاقة بين الطرفين . و حتى الشفاهية و بكل ما تحمله من معطيات ، تم الوقوف الوقوف عليها ، عبر الأبحاث الحديثة . فإنها تبقى قائمة على اعتبارها وسيلة و أداة يتم الاستعانة بها ، من أجل إعادة التاريخ إلى الحاضن السردي.

لقد تمت الإطاحة بمستوى العلاقة القائمة بين **العقل والموضوع** ، حين اتجهت الأبحاث الفلسفية إلى تفعيل الموقف النقدي ، و جعل السببية Causality بمثابة المقياس الذي يتم من خلاله تقويم مسار التفكير في الموضوع ([15])، وعبر هذا المنظور تكون اللحظة الشفاهية لدى المؤرخ بمثابة نقطة الشروع الدالة ، نحو بناء المحتوى الموضوعي للحدث والظاهرة المراد دراستها . بعبارة أخرى لقد تم الخلاص من هيمنة الواقع و سطوته ، وصار التطلع نحو تفعيل مسار الوعي نحو بناء الموضوعية . إلا أن التحول في الموقف من (**وصف الواقع**) إلى (**طريقة إنتاج الوعي**) أفرز حضورا للأيديولوجيا ، حيث الوعي الجاهز ، والذي يوفر طمأنة العلاقة النمطية ، القائمة بين المعنى و الوعي . و التي اتخذت مسارا شموليا ، حيث المسعى نحو الهيمنة و السيطرة على موجهات الوعي و مسارات التفاعل العلائقي . ومن هذا المنطلق انتفت الحاجة إلى اللحظة الشفاهية ، حيث راح المؤرخ ينبري نحو تطبيق الوصفة الأيديولوجية الجاهزة ، و بفائض غزير من الإيمان العقائدي و الأيديولوجي ، حتى تحولت النصوص التاريخية ، إلى مجرد مدونات دعائية ، ونصوص دوغمائية و سرديات نمطية ، و شعارات جاهزة ، لا غاية لها سوى إثبات الذات ونفي الآخر.

التجاوز

يقف المؤرخ العميق الأصيل في مواجهة الحدث ، وحاله كحال طرفة بن العبد ، توفى 564 ميلادي ، حين يقول ؛ وقوفا بها صحبي فوق مطيهم – يقولون لا تهلك أسى و تجلد . حيث القلق في أقصاه استنادا إلى

---

[14]Christopher J. O. Baker, Kei-Hoi Cheung ,Semantic Web; Revolutionizing Knowledge Discovery in The Life Sciences, Springer Science, New York 2007, p 145

[15]Eric Wathins, Kant and the metaphysics of causality, Cambridge University Press, 2005, p 177.

الموجه الساعي نحو بناء معرفي محكم ، وتحليل يرقى إلى مستوى الرسالة العلمية التي وهب نفسه لها. بناء على شرطين رئيسين يتمثلان في ، **الشرط الموضوعي** ؛ القائم على التجربة و الممارسة و الخبرة . **والشرط الذاتي** ؛ المستند إلى تنقية العقل من الشروط المسبقة والمقولات الجاهزة . وهكذا تتفاعل اللحظة الشفاهية بناء على إعمال فعالية المقارنة التصنيفية بين المفاهيم و المصطلحات ، و التطلع نحو رصد البنى الرئيسة التي يقوم عليها الحدث ، والتوجه نحو فرز الأحداث التاريخية و تمييز مجال التفعيل والتأثير فيها، من خلال التدقيق في مستوى العلاقات القائمة بينها ,عبر فحص مناطق التأثير والتفعيل([16]) . ، إنها المحاور التي تتفاعل في عقل المؤرخ ، تلك التي تتمثل في (**محور الرغبة**) و هي العلاقة القائمة بين المؤرخ وموضوعه. حيث البحث في مصدر الحدث ونهايته، و التطلع نحو قراءة الأوضاع المحيطة بالحدث ، عبر التحليل والتأويل و التي ينتج عنها تحديد الموقف رفضا أم قبولا. و التوجه نحو ترصد مسار الغاية التي يقوم عليها الحدث. وإبراز مواطن التحول . فيما ينطوي (**محور الإبلاغ**) على مدى العلاقة القائمة بين المؤرخ والقاريء، حيث التحديد الذي يتم الكشف عنه من خلال تمييز موقع السارد والراوي ، فيما يتمثل موضوع المؤرخ على إبراز القيم والمفاهيم والتصورات ، عبر هدف إبلاغي موجه. إنها فعالية الإقناع التي تتم من خلال الاعتماد على فعل التأويل ، و التوجه نحو استثمار الدلالات والمعاني . فيما يتبدى (**محور الصراع**) عبر العلاقة القائمة بين المساعد والمعيق. و إبراز توجه المؤرخ نحو إنتاج المعنى والقيم والدلالات، من خلال تبني وتقديم الأحداث ذات القابلية للتداول.([17]) مؤرخ لا يقوى على إنتاج نصه من دون الجدية والإيمان العميق بما ينجز . أو لم يقل مونتسكيو ذات يوم أن الإنكليز قد طوروا العلوم بناء على ؛ التقوى والتجارة والحرية . ([18])

الانتقائي و الممكن

تتشكل الاستراتيجيا السردية لدى المؤرخ، من خلال حضور **الحوافز** . تلك التي تؤكد تأثيرها في كل كلمة وعبارة وجملة ، يتم استخدامها في المتن الحكائي. أم على مستوى الحبكة التي تميز عمل انتظام الأحداث في مبنى محدد واضح المعالم . و تتوزع تلك الحوافز ما بين ؛ **أساسية** والتي تشكل البنية المنطقية لسير الأحداث. و **حرة** و التي يتم من خلالها تمييز معالم المبنى السردي ، و**ديناميكية** والتي يتم عبرها تبديل الوضعيات في السرد. و **تأليفية** حيث الدور الذي تحظى به عناصر السرد، و **جمالية** والتي يتم من خلالها بناء الانسجام بين العناصر السردية . ([19]) ، فيما تتبدى **وظائف** السرد عبر الوحدات الصغرى ، ممثلة في **الكلمة** ، تلك التي تنطوي على أداء وظيفة محددة ،

---

[16]Catherien Grant and Patricia Rubin, Creative Writing & Art History, WILEY Publisher,2012, p 16 .

[17].سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائيات السردية ، تانسيفت للنشر، مراكش 1994، ص ص 48-53 .

[18].ماكس فيبر ، الأخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية ، ترجمة أبو بكر با قادر و أكرم طاشكندي ، مكتبة مصباح ، جدة 1989، ص 83 .

[19]Samuel Frederick, Narrative Unsettled, Northwest University Press, 2012, p 182

يتم استبيان ملامحها من خلال السياق الذي تحتله في النص ، و إدارك دورها عبر الموقع الذي تحتله في السرد. إنه النسق الذي يميز المبنى السردي ، و يعمل على تحديد معالم الأساسي والفائض عن الحاجة داخل بنية النص.([20]) ، إنه البناء الذي يحدد جنس ونوع المبنى السردي ، من خلال اشتماله على السمات الخاصة التي تميز عمل الحقل العلمي ، انطلاقا من الاعتماد على الثوابت التي يقوم عليها التخصص. و الذي من خلاله يمكن تمييز النص التاريخي عن الاجتماعي أو النفسي أو الجغرافي ، و هي الوظيفة التي يمكن تمييز ملامحها من خلال السياق العام.([21])

اللفظ و المعنى

يستحضر المؤرخ أفكاره و علاماته و خزينه الثقافي ، حين يقف في لحظة إنشاء النص. بعد أن يكون قد انتهى من مرحلة (تمارين الكتابة التاريخية) و تغليب الاهتمام العلمي على السياسي والأيديولوجي ، و التوجه نحو النهل من المواقف و المنجزات السابقة ، و جعلها بمثابة (المعطيات) ، و العمل على اختيار المنهج ، و الإفادة من الأعمال الفكرية الكبرى ، وجعلها (مفاتيحا) للحقول المجاورة لحقل الكتابة التاريخية . إنه التواصل مع المعطيات الجديدة و بلورتها في مشاريع بحث، والعمل على إعادة صياغة المفاهيم من خلال طرح السئلة المعمقة . ([22]) المؤرخ في لحظة الكتابة يعمل على محاولة إنتاج العلامة اللغوية ، حيث العلاقة القائمة بين (الدال- اللفظ) و (المدلول – المعنى) ، و هو المسعى نحو بناء المحتوى القائم على ثنائية (الشكل و المضمون) ، حيث الإفادة من السمات التي تقوم عليها الكلمة ، بناء على السمة **الاستبدالية** ؛ من حيث توافقها وتعارضها مع السابق واللاحق . و سمة **التضمين** حيث تتبدى قيمة الكلمة بناء على المضمون الذي تحتويه. ([23]) ،

دال – لفظ	مدلول – معنى	علامة
الشفاهية	وسيط تداولي	كلمة

هي لحظة استجماع الرموز حيث الألفاظ المادية الصوتية ، والعمل على تحويلها إلى مدلولات ذات معنى ذهني و مفاهيمي ([24]). إنها التوزيعة التي يتم فيها تداول العلامة وفقا لـ (**الحقل ، الفعل ، المضمون ، الموضوع**) .

حقل	فعل	مضمون	موضوع

[20]Gregory Castle, The Blackwell Guide to Literary Theory, Blackwell Publishing, 2009, p 117

[21]Brian Richardson, Narrative Beginnings, University of Nebraska, 2008, p 66.

[22]وجيه كوثراني ، الذاكرة و التاريخ في القرن العشرين الطويل ، دار الطليعة ، بيروت 2000، ص ص 18- 21

[23]Sebastian Shaumyan, Sings, Mind and Reality, John Benjamines Publishing Company, Philadelphia, 2006, p 4

[24]Martin Krampen and others, Classic of Semiotics , Plonum Press, New York 1987, p9

تاريخ	سرد	علمي	شفاهية
سياسة	تنظيمي	أيديولوجي	السلطة
اجتماعي	تواصل	إنساني	الطبيعة البشرية
دين	عبادة	أخلاقي	تقوى
ثقافة	ممارسة	وعي	العقليات

الصريح والضمني

تعبر اللحظة الشفاهية عن نقطة لقاء مباشر بين المؤرخ و مبرر وجوده ، ذلك الذي يتمثل في (النص) . إنه الرأسمال الرمزي الذي يميز السمات القيمية التي يحملها المؤرخ مثل (**الوعي ، الإدراك ، التغيير)** وطريقة تلقيها من قبل الجماعة العلمية المتخصصة التي ينتمي لها . رأسمال رمزي لا يختلف بأي حال من الأحوال عن قيمة الرأسمال المادي . و الذي يتم اعتماده من قبل الهيئة العلمية أو المتحد العلمي ، والقبول به بوصفه نتاجا يحمل سمة العلمية و الاعتراف والقبول ، انطلاقا من قدرة المؤرخ على التفاعل والتمثل للمفاهيم والاعتبارات و القيم ، تلك التي تجعل منه (متخصصا) ، باعتبار التزامه بالمعايير التي تحدد سمات التخصص العلمي. إنها الفسحة والمجال التي تمنح كاتب النص ، أهلية الحصول على الموقع في مجال الاشتغال التاريخي ، و ما يمكن أن يمنحه المجتمع العلمي المتخصص من قيمة . إنها(السمعة والقبول) ، التي يتم منحها إلى هذا المؤرخ دونا عن الآخرين ، وتكون بمثابة المؤشر على قيمة إنجازه وعطائه و مدى تميزه. انطلاقا من مدى الجدية والجهد المادي المبذول . إنها الخبرات و المعارف والمنجزات ، التي تميز عمل المؤرخ عن باقي المنافسين داخل الحقل الواحد ، باعتبار قدرته على تحويل المعلومات إلى معرفة منظمة . و على الرغم من السمة الفردية التي يقوم عليها الإنجاز ، إلا أنه يحتل مكانة رمزية شديدة الحضور لعموم منجز الجماعة العلمية . باعتبار المنزلة العلمية التي يحققها الأعضاء المنضوون ضمن المتحد العلمي ، و طريقة تفاعلهم مع القيم العلمية .([25])

إنها لحظة الاكتشاف و التكيف التي ينجزها المؤرخ ، من خلال الوعي بالإنساق الداخلية ، تلك التي يتم التعبير عنها من خلال رصد المواقف و كم السلطة الرمزية الكامن في النص المنشأ ، و إدراك الأنساق الخارجية و التي تتمثل في فهم العلاقات القائمة بين عناصر الحدث ، و رصد مجال الارتباط . إنها السجايا و الاستعداد النفسي والتطبع الذي تميز عمل المؤرخ ، بناء على السمات و الموهبة التي يحظى بها ، وتجعل منه قادرا على تمييز وظائف الحدث و المدركات الناجمة عنه ، في العلاقات الزمانية و المكانية . عبر لحظة الإدراك الناتجة لدى المؤرخ و التي

[25] بيير بورديو ، أسباب عملية إعادة النظر للفلسفة ، ترجمة أنور مغيث، دار الأزمنة الحديثة ، بيروت 1998، ص 84.

تتموقع بين الوعي الفردي والفكرة ، باعتبار المسعى نحو إنتاج نص تاريخي قابل للتكيف مع الأهداف التي يقر بها المتخصصون .

نسق داخلي	نسق خارجي
مواقف	علاقات
سلطة	ارتباط

من الكلام إلى الكتابة

يشير بول ريكور إلى أن (**الكتابة هي التجلي الكامل لشيء ما**) ([26]26) إنها لحظة التمييز بين الحدث و المعنى . باعتبار الاعتماد على الوظائف ، التي يقوم عليها الخطاب الاتصالي و التي تتوزع ما بين ، الانفعالية ، الإقناعية ، التعاطفية ، اللغوية ، المرجعية ، الإنشائية. إنها اللحظة المتطلعة نحو الإفلات من براثن التغيير و التحريف الذي ينال الحدث ، و العمل على تحويله إلى علامة من خلال تسجيله و تثبيته بالحروف . الأمر الأهم هنا يقوم على أن الكتابة لا تعنى بتثبيت اللغة بوصفها نصا مجردا ، بقدر ما يكون التطلع نحو تثبيت الخطاب التاريخي بكل ما يحمله من مدلولات و معان . إنها المحاولة الساعية نحو تغذية الكلام بالمعنى . من خلال فعالية (**القصدية الفاعلة**) و التي من خلالها برزت قيمة الأرشيف في التاريخ ، و القانون للحكم و النظريات الاقتصادية للسوق . وتعميق أثر التواصل المفصح المغتنى بالتفاصيل و المعاني والشروح والمعاني. من خلال الاستناد إلى الحرف بدلا من الصوت. ([27]) إنه العمل الساعي نحو بناء العبارة التي تنظم علاقة السابق واللاحق ، و تعتمد على الإفصاح عن (الخطاب) و ليس القول المجرد ، بناء على فعالية التثبيت و الوصف و التفسير والتأويل ، بناء على ممارسة الاختيار الجاد والواعي ، و الولوج في عمق التفاصيل التي يزخر بها الخطاب التاريخي ، و المحمولات الذهنية التي يعج بها ، والمفاهيم المؤثرة و المتأثره به. و التي من خلالها يكون الوقوف على تداخل المصالح والرهانات الكامنة فيه. عبر التمثل بحدود الشكل و النظام الحاكم للخطاب ، و التطلع نحو تفعيل الحدث و بما يتوافق وموجهات الخطاب التاريخي.([28])

يقف المؤرخ عند إشكالية أحوال العلاقة القائمة بين الجملة الشفاهية و الجملة المدونة . حيث الانتقال من اللفظ المستند إلى القول ، إلى المدون القائم على علم الدلالات Semantic ، و ما يمكن أن تكشفه الكلمات من معان . و هكذا تبدأ الخطوة الأولى من قبل المؤرخ نحو بناء المعنى اعتمادا على صياغة المفاهيم ، و ما

---

[26].بول ريكور ، نظرية التأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي ، بيروت 2003، ص 55

[27].المصدر نفسه ، ص ص 55-60

[28]ميشل فوكو ، حفريات المعرفة ، ترجمة سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، بيروت 2005، ص 156.

تكتنز به من مضامين . لا يمكن إنكار وجود المعنى في الكلمة اللفظية المنطوقة ، إلا أن المعنى هنا يقوم على النسق التواصلي ضمن حقل معرفي محدد الأبعاد و المضامين ، حيث التطلع نحو الضبط الاصطلاحي المتوافق مع المقومات المنهجية التي يقوم عليها العلم. المعنى هنا ينطوي على تحديد مسار العلاقة القائمة بين (**المجال و الشكل**) . إذ يتأثر الشكل بناء على المجال الذي يحتويه لا سيما في المجال الشفاهي ، فيما يتخذ شكلا ثابتا في المجال المدون .([29]) انطلاقا من تأثير العلاقات الدلالية والمتمثلة في ؛ **السببية و الشرطية و الزمنية ، و الإضافة و الاسهاب والاستدراك** . ([30]) وعبر هذه المعطيات و المستويات يكون التأمل في جنس و نوع النص المرغوب تأسيسه ، والموقف الصادر عن الكاتب حول طبيعة تداول المحتوى الشفاهي . إنها التمثلات التي تعبر عن تنوع الحقول ،. فالشفاهي يبقى يدور الفضاء الحر ، فيما يأتي المتخصص ليضعه في سياقات التلقي و الضبط المنهجي و الصرامة القرائية . و هكذا يكون المحتوى الشفاهي الواحد ، عرضة لتدوينات و تسجيلات متنوعة و مختلفة ، بحسب نوع التعاطي وطبيعة المعالجة الصادرة عن المدون . حيث يتحول إلى نص تاريخي على يد المؤرخ ،و سوسيولوجي على يد عالم الاجتماع ، و نفسي و أدبي و شعري وسياسي وتربوي و أنثروبولوجي . إنها تمثلات القراءة تلك التي تبدأ من اللحظة الشفاهية ، القائمة على الانفتاح والاتساع و الشمولية . بإزاء لحظة التدوين و التسجيل تلك التي تنطوي على التحديد و الإنجاز والتفعيل . إنها لحظة **التحولات الممكنة** تلك التي تتفاعل لدى المتخصص ، بناء على الشمول و الحراك والتجاوز ، سعيا نحو بناء **استدلال قرائي** ، منطلقاته الرئيسة تقوم على الاستقلالية والوضوح ، و الشغف المعرفي و المعالجة الرصينة الجادة و المثابرة . حيث الاستناد إلى الملاحظة و التجربة ، و السعي نحو تعميق فهم و إدراك الواقع من خلال الحواس و التفكير النقدي الخلاق .

---

[29] نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق ، ترجمة يوسف فهمي حجازي ، منشورات الجمل، كولونيا 2010، ص 281.

[30] .فاركلوف ، تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي ، ترجمة طلال وهبه، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت 2009، ص 179